

رهين الذئب

[الطويل]

شهدتُ بأنّي لم تَغَيَّرْ مودّتي،
 وأنّي بكم، حتى الممات، ضنينُ
 وأنّ فؤادي لا يَلِينُ إلى هوى
 سواك، وإن قالوا: بلى، سَيَلِينُ
 فقد لَانَ أَيَّامَ الصَّبَا ثم لم يكد،
 من الدهر، شيءٌ، بعدهنّ، يَلِينُ
 ولمّا عَلَوْنَ اللَّابَتَيْنِ، تشوّفتُ
 قلوبٌ إلى وادي القُرى، وعيونُ^(١)
 كأنّ دموعَ العينِ، يومَ تحمّلتُ
 بُشِينَهُ، يسقيها الرّشاشَ مَعِينُ^(٢)
 ظعائنُ، ما في قُربهنّ لذي هوى
 من الناس، إلّا شِفْقَوَةٌ وفُنُونُ
 وواكَلْنَهُ والهمّ، ثمّ تَرَكْنَهُ،
 وفي القلبِ، من وجدٍ بهنّ، حنينُ

(١) اللَّابَتان: حَرَّتَا (المدينة).

(٢) تحمّلت: رَحَلْتُ. الرشاش: الماء. معين: غزير، جارٍ على وجه الأرض.

وَرُحْنٌ، وَقَدْ أودَعَنَ قَلْبِي أمانةً
 لِبَثْنَةٍ: سِرٌّ، فِي الفُؤَادِ، كَمِينُ
 كَسِرِ النَّدى، لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّهُ
 ثَوَى فِي قَرَارِ الْأَرْضِ وَهُوَ دَفِينُ
 إِذَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ سِرٌّ، فَإِنَّهُ،
 بَنَتْ وَإِفْشاءَ الْحَدِيثِ، قَمِينُ^(١)
 تُشَيِّبُ رَوَعَاتُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي،
 وَأُنْشَزْنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ^(٢)
 فَوَاحِسَرْتَا! إِنْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا،
 وَيَا حَيْنَ نَفْسِي، كَيْفَ فَيْكَ تَحِينُ^(٣)!
 وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي، وَمَا بِي نَعْسَةٌ،
 لَعَلَّ لِقَاءَ، فِي الْمَنَامِ، يَكُونُ^(٤)
 فَإِنْ دَامَ هَذَا الصَّرْمُ مِنْكَ، فَإِنَّنِي
 لَأَغْبِرُهَا، فِي الْجَانِبَيْنِ، رَهِينُ^(٥)

(١) التث: إفشاء السِّرِّ. قمين: جدير.

(٢) النشز: العلو والارتفاع. أنشزن نفسي: رفعتها.

ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٤١٧.

(٣) الحين: الهلاك. تحين: تهلك.

(٤) أستغشي: أغطي كيلا أسمع ولا أرى، وهنا يستغشي لينام.

(٥) لأغبرها: لذئبها، أي ذئب الفلاة. الجانبون: الغرباء النازحون عن بلادهم.

لكيما يقول الناس: مات ولم يَمِنْ
عليك، ولم تَنْبِتْ منكِ قرون^(١)
يقولون: ما أبلاك، والمالُ عامرٌ
عليك، وضاحي الجلد منك كنين^(٢)
فقلت لهم: لا تَعْدُلُونِي، وانظروا
إلى النازع المقصور كيف يكون^(٣)



(١) لم يَمِنْ: لم يكذب. تَنْبِتْ: تنقطع. قرون: حبال، (حبال المودة والوفاء).

(٢) الضاحي: البارز للشمس تصيبه. كنين: مستور من الكن.

(٣) النازع: الرامي بالسهم. المقصور: الذي قصره قيده، أي حبسه وقهره.
ورد البيت في لسان العرب ٨: ٣٥ مادة (نزع) «ومنه نزع الإنسان إلى أهله
والبعير إلى وطنه، ينزع نزاعاً ونزوعاً: حنّ واشتاق، وهو نزوع، والجمع
نُزُع... قال جميل: «...».